وتشرذم واغتيالات تفتت القيادة وتدهور الحركة الثورية الفلسطينية . ولم يكن لمقاومة الشعب الفلسطيني حليف حقيقي واحد بين الانظمة العربية ، ولم يكن هناك أطر ثورية وطنية عربية قادرة على الضغط والتحريك للمشاركة في الثورة . وكان هناك الاستعمار البريطاني يسلم المواقع والاسلحة للعدو وينفذ عهوده معه للاستيلاء على فلسطين .

وفي عام ١٩٧٣ وبالرغم من بعض المظاهر السلبية داخل الثورة الفلسطينية وانخفاض الحس الامني بين قياداتها وعدم اكتمال الوحدة بين فصائلها وانقسام الشعب الفلسطيني الى مجموعات بعضها داخل الوطن تحت الاحتلال الصهيوني وبعضها في الشتات خارجه ، وبالرغم من استبدال العدو البريطاني بالعدو الامريكي الاكثر قوة وعدة ، الا ان الوضع كان مختلفا الى حد كبير . فالجماهير الفلسطينية التي حملت السلاح وقاتلت به تعلمت من تجربة الـ ١٩٤٨ الا تتخلى عنه أبدا ، وتعلمت ان تراجعها وهروبها هذه المرة سيعني ضياع الوطن الى الابد . لم تعد الجماهير الفلسطينية قادرة على الهروب أو راغبة فيه ، فمواجهة العدو قدرها ومسؤوليتها ، وهي مسؤولية تتحملها عن الارض العربية كلها ولا لفلسطين وحدها . ولذلك فان غضبة الجماهير في الداخل والخارج كانت تعبيرا عن ارادة النضال هذه بكل معانيها .

لقد خرجت الحركة الثورية الفلسطينية بتجارب وخبرات عديدة صلبت من عودها وزادت من قدرتها على استمرار النضال ولقد كان في صلابة الجماهير دفعا لها على المزيد من الصلابة والصمود . وفي عام ١٩٧٣ كان التحام الجماهير الفلسطينية بالجماهير العربية الاخرى — خصوصا في لبنان — يتميز بشكل واضح عن الوضع عام ١٩٤٨ ، لقد أدت خبرة تسع سنوات من الكفاح المسلح الى تبلور ارادة الجماهير حول الثورة والى ادراكها ان تخليها عن أهدافها واستراتيجيتها وتنظيمها سوف يؤدي الى تكرار مأساة الـ ١٩٤٨ وهو ما عبرت هذه الجماهير بتحركها عن رفضه .

في عام ١٩٧٣ بعد الفردان ، كان هناك حركة ثورية وتنظيم ثوري وهو ما لم يكن موجودا عام ١٩٤٨ بعد مذبحة دير ياسين . وهي حركة تمكنت — بالرغم من نقائصها العديدة — من تنظيم وتعبئة وتسليح الجماهير واستنفارها بعد الجريمة ، كما تمكنت من اعلام الانسان العربي في كل مكان بالجريمة وابعادها ، واستطاعت بعد وقوعها ، الوقوف بصلابة امام الهجمة العسكرية التي لحقتها في لبنان مستفيدة من المد الجماهيري الذي نتج عنها .

وفي خلال السنة التي أعقبت الجريمة قاتلت الجيوش العربية في تشرين فقطعت الذراع الصهيونية وسقطت اسطورة التفوق الاسرائيلية وتغيرت موازين القوى العربية — الصهيونية ، واستخدم سلاح النفط العربي فغير موازين القوى العربية — الامريكية — الاوروبية ، واستعاد الانسان العربي ثقته بنفسه وبقوته ، وتكرس اعتراف شعوب العالم بالثورة الفلسطينية المجسدة في منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة شرعية وحيدة للشعب الفلسطيني ، وتأكد حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه ، وازداد اصراره على استعادة وطنه ودحر الاستعمار الصهيوني عليه وانشاء الدولة الديمقراطية الفلسطينية على كامل التراب الفلسطيني المحرر . وتأكد للجماهير العربية صدق منطلقات الثورة الفلسطينية وفعالية اسلوبها في الكفاح ، وتصاعد التأييد العالمي لها .

واليوم في ذكرى الفردان ودير ياسين ، ليس لنا الا ان نحيي نضال الشهداء البررة ، ونكبر تضحيتهم وبطولتهم ، ونعاهدهم على استمرار الثورة لاستكمال ما قدموا حياتهم من أجله .

وللاخوة كمال عدوان وكمال ناصر ومحمد النجار . . . دمعة حب وتقدير ووفاء .